وداع صامت

ليلي عمر

obeikan.com

obeikan.com

قد تشتعل قلوبنا بالحب، ويحتوينا العشق، ويغلبنا ضعفنا، فلا نجد لأرواحنا مفر إلا قلب من أحببننا، قد تدور الدوائر على كلينا، ويقطع طريقنا الفراق؛ فيحتل الحنين نفوسنا ولا نجد طريقًا للقاء، فلا يسعنا إلا أن نقف في صمت ونستسلم للوداع...

عُلِقت الزينة على واجهة هذا البيت الكبير أصبح البيت مُضاءً بالكامل، ما أحلي تلك الأضواء التي إن رآها القاصي والداني؛ علم فورا أن أهله من أكثر الناس سعادة الآن.

تلك هي عادتنا في أعراسنا؛ نعلق الزينات وتعلو الزغاريد في الأرجاء.. البيت في حالة هرج ومرج، هذا يحمل كرسيًا وتلك توزع الشربات على المدعوين، وآخر يهندم هيئته؛ لاستقبال المأذون القادم بعد قليل، إنه والد تلك الفتاة التي ستزف إلى بيت رجل ما، ولكنهم قد قرروا أن يتم عقد القران قبل الزفاف بيومين.

لم تعترض الفتاة فهي مستسلمة تمامًا لكل ما يحدث حولها، لكن أين هي تلك العروس الآن، لِمَ لا نراها بين المدعوين أو حتى نشعر بوجودها؟؟

إنها في غرفتها تجلس وحيدة شاردة الفكر. لا تتزين كغيرها في مثل هذا اليوم.

غالبًا ما تفرح الفتيات؛ تتزين وترقص وتمتلئ غرفهن بالصديقات، فرحين بتلك الليلة التي ستجمعها بفارسها المنتظر، الذي انتظرته ما فات من عمرها.

أما جميلة لم تكن مثل غيرها، فقد آثرت العزلة في هذا اليوم.

رغم إنها تعلم ألا أحد سيتركها وحدها طويلًا، فمن المؤكد أن هناك من سيقتحم غرفتها وقد كان، فقد وصل فستانها من محل الحياكة الآن؛ فدخلت والدتها تحمله لها وهي تزغرد.

. جميلة لقد وصل الفستان هيا لتجهزي نفسك، فالمأذون على وصول لم يبق سوي ساعات قليلة وأمامنا تحضيرات أخري.

وقفت جميلة وأخذت الفستان من يد أمها وبدأت ترتديه في استسلام. وراحت تضع بعض المساحيق على وجهها لا لتخفي قبحًا فيها، بالعكس فجميلة جميلة حقًا، ولكنها تزينت ــ كالعادة في المناسبات ــ وارتدت حجابها. نظرت لها أمها في سعادة وحب، وكادت أن تهرب دمعة من عينها إلا أن جميلة أنقذتها بيدها، وقبلت جبينها.

رنت الزغاريد في البيت وسمعن صوت الفتيات عاليا بالخارج؛ يعلن عن وصول المأذون.

مرت رعشة بين أوصال جميلة وبدا عليها الانفعال والتوتر؛ فهي منذ

أن تقدم لها ذلك العريس عاشت أكبر فترة لامبالاة في حياتها.
لم يكن سيئًا أو به ما يعيب، ولكنها لم تشعر به منذ لقائها الأول به.
ولكن ما عساها أن تفعل، فتلك المشاعر لا نتحكم بها، فهي هبة من الله يرزقنا بها بلا حول لنا ولا قوة.
فبعد جرحها العميق استسلمت لكل شيء، وأقنعت نفسها أنها ستعيش وتستقر
مثلها مثل غيرها. وكما أخبرتها أمها إن الحب دائما ما يأتي بعد العشرة والاعتياد.
أتي المأذون الذي رحب به والد جميلة، اتخذوا ركنًا خُصص لكتب الكتاب،
أمسك والد جميلة يد حسن العريس.
كان حسن يملك قدرًا من الوسامة وابتسامة مميزة، يحب جميلة كثيرًا لكن بطريقته، فهو عملي جدًا يحب بعقله. فهو شاب عادي أراد أن يتزوج؛ فأختار الطريقة التقليدية؛ حتى يُرضي أمه.
فقد توسط أحد زملاء والد جميلة في تلك الزيجة، وحينما رأي جميلة اقتنع بها وتعلق بها؛ لهدوئها والتزامها.
استفاقت جميلة علي دعاء المأذون والمدعوين، بارك الله لكما وبارك

عليكما وجمع بينكم في خير.. أصبحت زوجته الآن، صدمت جميلة للواقع الآن فقط.

كان بجوار جميلة في تلك اللحظة رفيقة دربها جهاد، جارتها وصديقة طفولتها حتى إنهما تحملان تشابه كبير في ملامح الوجه والهدوء والالتزام.

لكن جهاد قد ركبت قطار الزواج مبكرًا، فسبقت جميلة بعد قصة حب طويلة مع ابن خالتها، وحبيبها الأول وأبو ابنها حاليًا، الذي توج زواجهما وملأ حياتها سعادةً ودفءً.

احتضنت جهاد جميلة بود وسعادة وهمست لها:

. مبارك يا عزيزتي أتمنى لكي السعاة، انس الماضي يا جميلة فالمستقبل ينادي عليك فأسعدي به واهنئي. عند هذه الكلمات لم تتمالك جميلة دموعها فبكت بين ذراعي صديقتها.

انتهي اليوم وذهب كل في حاله، حتى حسن لم يمكث طويلا ورحل.

عادت جميلة إلى غرفتها، رن هاتفها فتعجبت حين رأت رقم حسن، ردت في قلق مصطنع:

. ما الأمر يا حسن؟

لكن جاءها صوته مازحًا:

. جميلتي زوجتي الحبيبة لن تتصوري كم أنا سعيد، فأخيرًا خطوة من أحلامي تتحقق.

ردت جميلة في تثاؤب:

. متعبة جدًا يا حسن وأرغب في النوم، لم لا نؤجل كلامنا للغد؟؟

تفهم حسن وأغلق متمنيًا لها ليلة سعيدة؛ توضأت جميلة وتجهزت للصلاة، وفور رفعها يدها للتكبير؛ انهمرت دموعها حتى انتهت صلاتها، دعت الله كثيرًا أن يصلح لها قلبها ونامت بعد معاناة.

صباح يوم جديد يوم الحناء استيقظت جميلة علي صوت هاتفها إنها جهاد.

. كيف حالك يا جميلة؟

. الحمد لله يا جهاد كيف حالك أنت وحبيبي أدهم؟؟

لم تجب جهاد، مما أثار قلق جميلة فسألت:

. ما الأمر يا جهاد؟ هل كل شيء على ما يرام؟

تنهدت جهاد وأجابت:

. لا أعرف يا جميلة، تسير الحياة بشكل عادي، ولكني أشعر أن أحمد

obeikan.com

بعيد عني، هناك حاجز بيننا.

اعتدلت جميلة في جلستها، وقالت:

. هل تشاجرتما؟

تنهدت جهاد في حيرة:

. لا لم يحدث بيننا أي خلاف، فقط أصف لك ما أشعر به؛ المهم هيا أيتها العروس الكسولة، استيقظي فأمامنا يوم طويل ومرهق.

ابتسمت جميلة وكأنما تذكرت للتو إنه يوم الحناء، وقالت:

. وما الذي سنفعله في هذا الصباح الباكر يا جهاد؟

قالت جهاد بسرعة:

- الكثير يا عزيزتي، خذي حمامًا دافئًا وتناولي فطورك حتى آتِ إليك.

. حسنا يا جهاد أنا في انتظارك، إلى اللقاء.

قالتها جميلة في برود. دخلت أم جميلة تحمل لها الفطور.

. هيا يا عروستي الجميلة كفاكِ نومًا.

نهضت جميلة ولم تنتبه لنظرات أمها السعيدة لها، وحينما التفتت لتلتقط منشفتها لمحت تلك الدمعة، التي فرت من عين أمها، اقتربت منها جميلة؛ وقبلت يدها وقالت:

. لِم البكاء يا أمي؟ ألا تعلمين أن دموعك تلك تؤلمني؟

ربتت أمها على ظهرها بحنان.

- إنها دموع الفرح، فطفلتي أصبحت عروسًا، وقريبًا قد أحمل أولادها وأصبح جدة، أسعدك الله يا ابنتي، هيا انهضي فالوقت يمر سريعًا، تناولي فطورك واغتسلي، وتركتها وخرجت من الغرفة.

بكت جميلة من كلام أمها، فكلتاهما تُضغط وتتألم.

اغتسلت وتناولت القليل من الطعام، لا تدري ما الذي جعل شريط الذكريات، يدور برأسها. وكعادتها تهرب من كل تلك الضغوط إلى صلاتها، توضأت وصلت وبكت.

حضرت جهاد تصطحب ابنها أدهم، بعينين ذابلتين ووجه شارد، لا يختلف كثيرًا عن وجه جميلة. بدأ يوم الحناء، بإقبال أهل جميلة وحسن، ارتدت جميلة فستانًا هنديًا مناسبًا لذلك الاحتفال.

أتت من سترسم لها الحناء، حل المساء سريعًا، وبدأت الفتيات بالرقص وعلت الزغاريد؛ كانت ليلة صاخبةً حتى إن جميلة نسيت كل شيء، فقد كانت مستمتعةً بوقتها وسط رفيقاتها وأهلها.

انتهي اليوم، وبعد انصراف أصدقاء جميلة، أتي حسن يحمل باقة من الزهور، طلب الانفراد بجميلة قليلًا، فأدخلته أم جميلة غرفةً،

حرصت جميلة علي وضع حجابها، دخلت الغرفة فأبتسم حسن وقدم لها باقة الزهور؛ ابتسمت له في رقتها المعهودة، وقالت: شكرًا لك يا حسن.

اقترب منها حسن إلى الحد الذي وتر جميلة؛ مما جعلها ترجع بضع خطوات إلى الخلف، لكن حسن اقترب أكثر وأمسك يدها وجذبها إليه عنوة؛ ارتعدت جهاد وقالت:

- أرجوك يا حسن اترك يدي.

لكنه بدي وكأن لم يسمعها فهم بتقبيلها؛ لكنها بكت مما أثار غضبه، ورفع صوته قائلًا:

. إنه حقي يا جميلة، أنت زوجتي الآن.

أدركت الآن جميلة ما هي مقبلة عليه، فالأمر فاق تحملها، لكنه أصبح واقعًا ولن تتمكن من الخلاص.

ـ أرجوك هذا ليس الوقت أو المكان المناسب يا حسن، اصبر كلها ساعات قليلة وأصبح في بيتك.

قالت جميلة تلك الكلمات بصوت متهدج مضطرب.

. بل الآن يا جميلة، أنا لا أطلب منك الكثير، قالها حسن في ثبات.

خضعت جميلة واستسلمت فهي تعي تمامًا إنه حقه، اقتراب حسن

إلى هذا الحد؛ جعلها تشعر بأنها جنت على نفسها.. تضاربت الأفكار بعقلها، بينما حسن يتحسس خصرها، لم تتحمل جميلة كل هذا الحد، ففرت هاربة من يده إلى غرفتها.

أخذت تبكي، ودت لو ينتهي أمر هذا الزواج بأي شكل.

بدلت ملابسها وتوضأت وأخذت تصلي وتبكي.

عادت جهاد إلى بيتها، لتجد زوجها يجلس بالشرفة، ويتحدث بالهاتف وما أن رآها حتى ارتبك وأنهي المكالمة.

تعجبت من أمره لكنها تجاهلته، ودخلت لتجهز طفلها للنوم.

نام أدهم وبدلت ملابسها، لكن أحمد لم يبرح مكانه، كان شاردًا

احتارت جهاد ما الذي يمكنها أن تفعله، هل تقتحم خلوته وتسأله عما يشغله، أم تستمر في تجاهلها، فهي تعلم إنه كتوم، ولن يخبرها عن مكنوناته وأسراره، وهذا التجاهل الذي تصطنعه لا يؤرق غيرها، استعانت بالله وقررت اقتحام حصون زوجها.

وقررت استخدام سلاحها المضمون فكلمات أمها لا تفارق أذنها ابدأ " كوني قريبة لينة، تحصلين على قلبه ومودته "

كلمات حكيمة لم تخيب أبدا ظن جهاد، كلما استحضرتها وعملت بها.

صنعت له عصيرًا منعشًا، وارتدت حجابها ودخلت الشرفة، طبعت قبلةً حانيةً على جبينه؛ أخرجته من عالمه وانتبه إليها. ابتسمت إليه في رقة وقالت:

. إلى أين ذهب عقل حبيبي؟

نظر لها أحمد ولم يجب، فهمت إنه لن يخبرها شيئًا؛ فغيرت مجري الحديث

ـ كانت ليلة رائعةً، ذكرتني بليلة حنتي، كنت كالفراشة المحلقة في السماء من السعادة.

هبت نسمة باردة اقشعر منها جسد جهاد، فضمت يدها على كتفيها نهض أحمد قائلًا:

ـ الجو بارد لم لا نجلس بالداخل، ونستعد للنوم حتى تتمكني من الذهاب لجميلة غدًا.

ابتسمت وهزت رأسها وانصاعت لما قاله.

بعد ساعة نهض أحمد من فراشه ليغتسل، تركه ساخنًا رغم علاقته الباردة بزوجته، التي لم يشعر بدموعها، التي انهمرت لما همس لها دون وعي وفي حميمية باسم امرأة أخرى.

إذن هناك امرأة غيرها تشغل باله، تشوش فكره، سلبته لبّه حتى إنه

لم يعد يري زوجته، أصبح في وادٍ أخر بعيد عنها.

بمكان مظلم، جلس حزينًا يبكي مقيد اليدين يقاوم رغم قلة حيلته.
يبكي ويهمس باسمها تارة، ويرتفع صوته ينادي عليها تارة أخري.
استطاع بصعوبة نزع يد واحدة من القيد، تهادي إليه طيفها، فمد يده الحرة إليها
يستغيث ويرجوها إنقاذه، لكن قيدها أشد وأمتن حبسها عنه، حتى إنها حاولت نطق اسمه لكن شيئًا ما وُضِع على فمها كممه، حملها مُقيدُها بعيدًا عنه...
بكت استصرخت أن يحلها من قيده، لكنه أعرض وأبي.

فزعت جميلة من نومها وعلى لسانها اسمه، وضعت يدها على صدرها لعلها تهدئ من روعها.
تساءلت تري ما به لم يبكي؟
كثيرًا ما كانت تراه في أحلامها لكن هذه المرة كان كابوسًا.

انتبهت لصوت أذان الفجر، وقبل أن تتحرك من فراشها؛ رن هاتفها ففزعت

- جهاد؟؟ ما الأمر؟؟

- ما بك يا جميلة ما كل هذا الفزع؟؟

جميلة: لا شيء، خير يا جهاد ما الأمر؟؟

جهاد بعد تردد: توفيت والدة كريم.

جميلة في صدمة ودموع: لا حول ولا قوة إلا بالله، كيف علمت بهذا الخبر؟

توترت جهاد فهي لم ترد أن تخبر جميلة عمن أخبرها.

فقالت بعد برهة من الصمت: من صفحة فارس علي الفيس بوك

بكت جميلة كثيرًا وقالت من بين دموعها:

ـ ماذا أفعل يا جهاد؟ لن أتركه وحيدًا يتألم، يجب أن أذهب إليه؛ أقف جواره.

جهاد بفزع: هل أصابك جنون ما يا جميلة؟ أنت زوجة الآن وزفافك بعد ساعات.

جميلة في انفعال: لا لم أُجن يا جهاد، لكني لن أترك "كريم" حزينًا، دون أن أراه ولو من بعيد. وزاد بكاؤها.

قالت جهاد تخفف عن صديقتها: اهدئي يا حبيبتي رجاءً، أنت تعلمين أنى أخاف عليكِ من تهور عواطفك، فالوضع الآن لا يحتمل يا جميلة،

لو علم والدك ستكون العواقب وخيمة، كما أن حسن لا نعلم كيف سيكون ردة فعله إذا أخذ خبرًا، حكمي عقلك قليلًا ولا تهدمي حياتك.
مسحت جميلة دموعها، وقالت: اتركيني يا جهاد سأذهب لأصلي، وليدبر الله لي أمري. وأنهت المكالمة.
أدت جميلة صلاتها بالكاد تحملها قدماها؛ فقد أنهكها الهم، جلست في ركن بالغرفة وضمت ركبتيها على صدرها، ودفنت وجهها بينهما وبكت بكاءً مريرًا، فهي ورغم انقضاء تلك المدة إلا إنها لا زالت تحب "كريم"، ولا يغيب عن ذاكرتها أيامها معه، وتلك المشاعر القوية التي جمعتهما، وعاد شريط الذكري يدور بعقلها ليأخذها إلى ذلك اليوم الذي مر عليه ما يقارب العامين...

بزغت أشعة الشمس في أرجاء السماء، لكنها كانت قاسيةً شديدة الحرارة، اليوم في تمام التاسعة وصلت الفتاتان إلى بوابة الجامعة، قالت جهاد متأففة تمسح عن جبينها الخمري بضع قطرات من العرق: لقد تأخرنا وضاعت المحاضرة علينا، تحمل جهاد وجهًا طفوليًا خمريًا رقيقًا، عينها الخضراء أضفت علي وجهها جاذبيةً، ذات قامة قصيرة، وتغطي رأسها بحجاب طويل.

قالت جميلة بنفس الضيق: إنها المرة الأولى التي نتأخر فيها هكذا.

دلفتا إلى الجامعة، لتصطدما بجمهور من الطلاب، يملئون أروقة الجامعة، يصيحون بأعلى صوت لهم بهتافات معارضة، ويحملون لافتات كُتب عليها شعارات مناهضة لما يحدث بالأقصى من أعمال عنف.

نظرت جهاد لجميلة بتوتر، وتشبثت بذراعها كطفلة صغيرة تخشي الخطر.

لم يكن توتر جميلة أقل منها، لكنها تماسكت رغم جهلها بما يمكنها فعله في هذا الموقف.

قالت لجهاد في حزم: اهدئي يا جهاد فسنخرج من هنا، ولن يحدث لنا أي مكروه بإذن الله.

أومأت جهاد موافقةً، وقبل أن تلتفتا لتخرجا من حيث دخلتا؛ فإذا بمجموعة من الطلاب يدفعون بهما وسط الحشود، وإذا بالأمن يدخل حرم الجامعة؛ ويحاصر المتظاهرون، وأُغلقت أبواب الجامعة، تمسكت الفتاتان ببعضهما ترتعدان من الخوف، لمحت جهاد مبني يتجمع عنده عدد من الطالبات، فجذبت يد جميلة تجاهه في محاولة منها للخروج من هذا الحصار.

وقفتا تنتظران فرصةً للخروج من الجامعة، غافلتين عن أن هذا المكان هو منبع المظاهرة من الأساس، فمبني كلية الحقوق عُرف عنه إنه دائمًا ما تخرج منه مثل تلك المظاهرات.

وبينما تختبئان في رواق المبني، وعلى غفلة خرج مجموعة من الطلاب ودفعوا بهن مرة أخرى حيث المظاهرة، وإذا بفتاة تركض تجاه جميلة وألقت لها لافتة واختفت وسط الزحام.

ظن الطالبات أن جميلة هي من تقود المظاهرة، فدفعن بها وأخذن يرددن ما كُتب على اللافتة " فداكِ يا أقصى... يسقط الظلم والطغيان "

كان كل هذا يحدث وسط ذهولها ودون إرادتها.

نظرت جانبها فلم تجد جهاد فزاد خوفها وتوترها، لقد تاهت منها وسط الجموع.

كان كريم يتابع حركات الطلاب بعدسة كاميرته؛ يسجل ما يدور بها من شباك مبني كلية الأعلام، يعاونه صديقه فارس، التقطت عيناه جميلة التي كانت تقود المظاهرة وكل علامات التوتر بادية عليها.

تعجب كثيرًا، كيف لفتاة بمثل ملامحها الهادئة، أن تقود مظاهرة

وتحدث شغبا؟

وجهها الصغير لا يوحي بأنها ثورية، أو من ذلك النوع القوي.

تأملها قليلًا لمح توترها واختلاج خطواتها، شعر وأن نظراتها تبحث عمن ينجدها مما هي فيه.

فقرر دون تفكير أن يكون قريبًا منها تحسبًا لأي خطر يلحق بها، ترك الكاميرا لفارس ليستكمل بدلًا عنه تسجيل الأحداث.

على الجانب الأخر كان عراك قد بدأ، بين الأمن والطلاب، وأُلقيت الكثير من القنابل المسيلة للدموع، حتى وصل الغاز إلى صفوف الفتيات، مما أصاب الكثير منهن بالغثيان. ومنهن من فقدن وعيهن.

ألقت جميلة اللافتة ما أن رأت مَنْ بجوارها وقد سقطت مغشيًا عليها، حاولت أن تساعدها قدر استطاعتها، وفجأة هجم مجموعة من الشباب . ذوو البنية القوية ـ على الفتيات وتطاولوا عليهن بالضرب والسحل.

كانت جميلة منهمكة في مساعدة الفتاة عندما ركض بلطجي ناحيتها ممسكًا بعصً غليظةً؛ وطوح عصاته في الهواء كيفما اتفق؛ فهوت منها ضربة عنيفة فوق رأسها فسالت دماؤها لتغرق الأرض؛ وفقدت الوعي على الأثر.. ولكنها قبل أن تفقد وعيها شاهدت "كريم" خلفها ممسكًا

بتلك العصا التي تلوثت بدمائها..

وكان "كريم" قد تلقى هو أيضًا ضربة أخرى - وإن كانت أقل عنفًا - فترنح قليلًا، ولكنه سرعان ما استعاد توازنه، واختطف الهراوة (عصا غليظة) من هذا البلطجي وهوي بها فوق رأسه بضربة قوية؛ فقد على أثرها وعيه.. بينما توجه كريم ناحية جميلة وحملها وهي فاقدة الوعي، وهرول بها بحثًا عن أي مكان يسعفها فيه... بينما سجلت كاميرا فارس كل ما حدث.

لم يجد مكانًا يمكن الاحتماء به إلا مبني كلية الطب، فوجده مليئًا بالمصابين.

وجد صديقًا له طالبًا بالكلية يعالج أحد المصابين؛ حمد الله وركض نحوه بجميلة.

هاتف فارس أخته وأخبرها أن تنتظره بمكان محدد خارج الجامعة، ومن بين حديد سور الجامعة مرر لها الكاميرا وهاتفه، وأمرها أن تركض وتختبئهم بعيدًا عن بيتهم.

وعاد فارس ليساعد زملائه المصابين، وتم القبض على العديد منهم بسبب أو من دون.

أوجد صديقه مكانًا لجميلة في المعمل، حيث وضعها على إحدى طاولاته وكأنها سريرًا؛ واخذ يفحص جرح جميلة.

رن هاتف جميلة فأخرجه كريم من حقيبتها، وخرج من المعمل، رأي اسم المتصل " جهاد "

فكر أن يرد لكنه تراجع؛ خشي من ردة فعل المتصل أي أن كانت هويته وعلاقته بالفتاة. فمن المؤكد إنه إن سمع صوته سيثير قلقه.

توقف الهاتف عن الرنين، بينما كان يفكر كيف سيتصرف؛ تهادت إلى عقله فكرة، بحث عن فتاة لتجيب هي على الهاتف، وتخبر المتصل بما حدث لجميلة وأين هي الآن.

عاد كريم حيث ترقد جميلة وسأل صديقه عن حالتها فقال:

- لقد تعاملت مع جرحها في حدود الإمكانيات المتاحة هنا، لكنه جرح عميق أظن إنه سبب لها ارتجاجًا بالمخ؛ سيتبين تأثيره عندما تفيق، لكن أنصح أن تخرج بها من هنا؛ لأنها تحتاج لرعاية أكثر، ربت على كتفه وهرول ليسعف حالة أخري.

جلس جوار جميلة حتى أتت جهاد، التي ما أن رأت جميلة في تلك الحالة؛ حتى انهمرت دموعها، وسألت كريم بصوتها الباكي:

. من أنت؟

قص عليها كريم كل شيء، وما قاله صديقه، وأعطي لها حقيبة جميلة وهاتفها.

ترددت جهاد في الاتصال بأسرة جميلة، فكلما همت بالأمر؛ تتردد وتفقد أعصابها وتنهمر في البكاء.

لم يكن بيد جهاد فعل أي شيء لجميلة، أخبرت كريم عن تورطهم في تلك المظاهرة التي لم تكونا تحسبا لها حسابًا.

. فقط أرجوك أن تساعدنا كي نخرج من هنا.

. لا تقلقي يا آنسة جهاد سوف أبذل كل جهدي.

حاول كريم الاتصال بفارس لكن هاتفه كان مغلقًا.

احترق كريم من القلق على صديقه، لكن ما عساه أن يفعل له الآن؟ فهو لن يترك جميلة، فشهامته ومروءته تمنعانه من التخلي عن مساعدة من يحتاج له، لكن الأمر الآن أقوى وأشد، لشيء ما دب في نفسه لا يدرك كنهه حاليا...

فكر في مخرج أخر، تذكر أحد حراس البوابات كانت علاقته طيبة به؛ فخرج يبحث عنه.

وبعد عناء في العثور عليه، طلب منه أن يساعده في الخروج بفتاه قد أصيبت، ويجب أن تدخل المستشفى فورًا.

طلب منه الحارس أن ينتظر؛ حتى تهدأ الأوضاع ويغفل الحراس، حيث أن التعليمات قد شددت ألا يدخل أو يخرج أحد من الجامعة.

عاد كريم حيث ترك جميلة وجهاد جوارها، وجد جهاد تبكي، وقف بعيدًا يتأمل وجه جميلة الرقيق، شعر أن ملامحها قريبة منه، ذكره وجهها الأبيض المستدير بوجه عزيز عليه، أخرج من جيبه صورة صغيرة لطفلة لم يتعد عمرها العامين، وقبلها ثم أعادها حيث كانت...

هدأت الجامعة قليلا، بالكاد خرجت جميلة يحملها كريم إلى أقرب مشفى.

بعد ساعات أمام غرفة جميلة بالمستشفى وقفت أسرة جميلة، وصديقتها جهاد بينما وقف كريم بعيدًا ينتظر أن يطمئنهم الطبيب علي جميلة.

خرج الطبيب فهرولت أم جميلة إلى داخل غرفتها، وأقبل والدها علي الطبيب الذي قال:

- لقد تعرضت لضربة قوية على الرأس، كان جرحها غائرًا تم خياطته، غير ذلك فكل الأمور بخير لكنها نائمة وهذا أمر طبيعي.

سننتظر ساعة من ثم نوقظها لنطمئن أكثر.

فتحت جميلة عينيها ببطيء، حاولت أن تنهض لكن الألم الشديد برأسها منعها وسألت أين أنا؟

مسحت أمها دموعها وابتسمت لها وقالت: لا تتحركي يا جميلة أنت في أمان الآن

قالت جميلة بوهن: ماذا حدث يا أمي ولماذا تبكين؟

لا شيء يا حبيبتي فقط ارتاحي وسأعود حالا.

قامت أم جميلة وذهبت تستدعي الطبيب؛ ليفحص ابنتها، الذي بدوره طمأنهم أن حالتها الصحية جيدة ولا شيء يدعو للقلق.

اطمأن كريم علي جميلة ووجد أنه لا داعي لبقائه في المستشفى، فاستأذن والد جميلة أن يعود غدًا ليزور جميلة.

شكره الوالد علي مساعدته لابنته.

عاد كريم إلى منزله فهو لن يتمكن من الابتعاد عن صغيرته لوقت أطول من هذا، ما أن فتح باب البيت حتى ركضت نحوه سارة بابتسامتها النقية، حملها إليه وضمها بقوة فقد اشتاق لها كثيرا.

جلس جوار أمه، وقبل يدها وأخذ يقص عليها تفاصيل يومه بينما تجلس سارة تستمع له كمن يفهم كل شيء، حتى وصل بحديثه إلى جميلة شعر بنبضة بقلبه، فمثل تلك الملامح حُفرت داخل قلبه،

وتركت له أثرها الذي لا يفارقه، نفض عن رأسه ألم الذكريات، وأخذ يداعب ابنته في مرحٍ، بينما أمه تضحك وتضمهما بعيونها الحانية.
انفرد بنفسه وعاود الاتصال بفارس لكن لازال هاتفه مغلقًا، فقرر أن يذهب إلى بيته في الصباح.

جلست جهاد جوار صديقتها، وقصت عليها أحداث ذلك اليوم، لكن أصابتهم صدمة بالغة، عندما أخبرتهم جميلة أنها لا تذكر أي شيء يخص ذلك اليوم، وقد توقف عقلها عند اليوم الذي يسبقه فقط.
أخبرهم الطبيب أن هذا أمر متوقع وطبيعي، وأشار إليهم ألا يضغطوا عليها، كما يمكنها الخروج من المستشفى في اليوم التالي.
طرق كريم باب غرفة جميلة، دهش عندما رآها واعيةً، اقترب يلقي عليها السلام، لكن ملامح جميلة تغيرت ما أن رأته، وشعرت بصداع شديد تألمت منه، اضطرب كريم مما بدا عليها، فأثر الصمت والخروج.
أمسكت جهاد بيد جميلة وربتت عليها، وسألتها: ما الأمر يا جميلة، لم تغير وجهك عندما رأيتِ كريم؟
قالت جميلة وقد اختنق صوتها: لا أدرى يا جهاد، لم أشعر بالراحة لوجوده!

قالت جهاد بسرعة: لقد انقذك يا جميلة، ولا يستحق منك مثل هذه المقابلة الباردة.

انفعلت جميلة من كلام جهاد وقالت بعصبية: لا أذكر شيئًا، ولا أذكره يا جهاد، وأمسكت رأسها بيدها متألمةً، فطلبت لها جهاد الممرضة لتعطيها مسكنًا.

علم كريم من الطبيب أن جميلة لا تتذكر ذلك اليوم، ورجح أن هذا من إثر الخوف والانفعال الزائد الذي تعرضت له يومها، وأنها قد تحتاج إلى أخصائي نفسي.

شعر كريم بالألم لما تذكر نفور جميلة من مقابلته، الذي لا يدري له سبب

خرج كريم من المستشفى وتوجه إلى بيت صديقه، علم من أخي فارس أن أخيه لم يعد منذ أن خرج أمس.

هاتف زميل له صدم كريم حينما أخبره أنه مع فارس بالقسم.

قال كريم بحدة وقلق: ماذا حدث يا إبراهيم أخبرني؟

قال إبراهيم بصوت منخفض: لا تقلق أنا معه ولا شيء عليه، مجرد إجراءات وسيخرج غدًا، هكذا أخبرني صديق لي ضابط هنا.

لكن ما تهمته يا إبراهيم، وبأي قسم أنتم سوف أتِ إليكم؟ سأل كريم.

لكن إبراهيم منعه وقال: رجاءً يا كريم لا تزد الأمر سوءًا، أخبرتك أنه سيخرج غدًا وسينقضي كل هذا سريعًا فقط أريدك أن تهدأ.

واستأذن أن ينهي الاتصال على أن يحدثه عندما تسنح له الفرصة.

يقع الحب في قلوبنا دون سابق إنذار، وبلا موعد، فلا ندري لنا مفرًا منه، فهو يعانق قلوبنا بقوة، ويتركها نابضة بالحياة..

جلس كريم في شرفة غرفته، لا يشغل باله سوى جميلة، ونظرة النفور التي وجهتها له، حاول أن يجد لها سببًا لكن بلا جدوى، لكنه تأكد أن حب جميلة أصاب قلبه.

أما جميلة فلا تدري، لما وقع ذلك النفور داخلها تجاه كريم، حاولت كثيرًا الضغط على ذاكرتها عسى أن تتذكر أي شيء.

باتت جميلة في حيرتها التي أرهقت عقلها، حتى غلبها النعاس رغم ذلك الصداع المزمن الذي أصابها.

صباح يوم جديد تنفس فارس الهواء النقي خارج قسم الشرطة، استقبله كريم بحرارة وأخذا يتبادلان أطراف الحديث فيما حدث

لكليهما.

بينما خرجت جميلة من المستشفى، لكن في أعماق ذاتها احتلها شعور بالغربة والحزن الشديد، حاولت بشتى الطرق أن تستعيد نفسها القديمة المرحة؛ لكن هناك حاجز تجهله.

بعد شهر...

أشرقت شمس ذلك اليوم الذي عهدت فيه جميلة لنفسها أن تنثر غبار الخوف عن وجهها وتكمل حياتها، فعمدت إلى الجامعة متمنيةً ألا يكون هناك يهودي في القدس حتى لا تأخذ عصا أخرى على رأسها.

وما إن ولجت أقدامها أبواب الجامعة؛ حتى رأت نفسها في ذلك المشهد الذي أصبح نقطة سوداء بحياتها.

ها هي تقف تائهة عيناها تبحث عن جهاد، ممسكةً لافتة فداك يا أقصى، والكل خلفها تدافع، وصوت قنابل وطلقات مطاطية مخيفة، تسقط بجوارها إحدى المتظاهرات تميل جميلة عليها لتتفقدها، همت ترفع رأسها لتسقط مصابة على الأرض ترطمها عصا على رأسها تنظر خلفها لتجد..

كريم

نعم إنه هو

هو آخر من رأيته بعد صدمتي

تذكرت وكأنه الآن، هو من ضربني

في صدمة واندهاش، تترك ساحة الجامعة مهرولةً لكنها تصطدم به كان قريبًا منها، نظرت له في حدة وغضب، انقلبت وتغيرت ملامحها، لكنها تركته راكضةً خارج الجامعة، وهو خلفها، اندفع وراءها واستوقفها، ماذا حدث يا أنسة جميلة؟ هل من خطب؟

ردت عليه بانفعال وغضب، ابتعد عني وعن طريقي أيها البلطجي، لا تصطنع الشهامة والرجولة، كفاك تمثيلًا.

الذهول والدهشة كل ما استطاع وجه كريم التعبير عنه.

أردفت جميلة بنفس النبرة الغاضبة: لقد تذكرت كل شيء الآن، أنت من ضربتني على رأسي، أنت من أسلت دمائي، وكل ما تفعله الآن ومنذ أن فقدت وعيي ما هو إلا تمثيلًا حتى تواري عن فعلتك، تخشي أن أتهمك بالاعتداء والضرب، حالفك الحظ إنني نسيت ذلك اليوم، فشعرت بالذنب وأشفقت عليَّ، لكن لم تأتيك الرياح بما تشتهي سفنك، فقد تذكرت أيها الهمجي.

طعنة الظلم أقسي ما قد يصيب المرء، خاصة وإن أتت مَمن نحب، تضاربت الكلمات على لسان كريم، بحث عن كلمة واحدة في قاموس

الكلمات يعبر بها عما بداخله، لكن بلا فائدة، سمح لها بالمرور فاستكملت مسيرها، ناداها مرة أخرى

. أنسة جميلة.

وقفت دون أن تلتفت له.

فقال: أرجو من الله أن يثبت براءاتي أمامك، فرغم قصر مدة معرفتي بك إلا أنك تعنين لي الكثير.

ليلة حالكة السواد؛ لأول مرة يبكي كريم منذ أن فقد زوجته، حاولت سارة اللعب معه لكنه لم يستطع، حتى أمه لاحظت حالته، لم تملك له سوى البكاء المكتوم والدعاء...

تقلبت جميلة في نومها كثيرًا، كلما أغمضت عينيها تراه، هاتف داخل نفسها يحدثها أنه مظلوم، لكن كيف لها أن تكذب ما رأته بعينها؟!

أخبرت والدها بما حدث، انفعل كثيرًا وهدد بأنه إذا تعرض لها كريم مرة أخرى سيقدم ضده بلاغًا.

لكن شيئًا ما داخل جميلة دفعها بأن ترفض أن تؤذيه...

مرت الأيام سريعة حزينة علي كريم، شعور الظلم يقتله.

عاد فارس من رحلة زيارة أخته، التي تدرس في محافظة أخرى، كانت

قد سافرت وبرفقتها الكاميرا الخاصة بكريم وهاتف فارس.

اتصلت أم كريم بفارس صديق عمره، الذي لن يتأخر على رفقيه مهما كان، فأسرع فارس إلى بيت كريم ليزوره...

وما أن التقيا حتى بادره فارس بالسؤال عن حاله، فقص عليه كل ما جري له مع جميلة.

ذلك الشجن الذي لمسه فارس في صوت صديقه دفعه أن يسأله: هل تحبها؟

نهض كريم وتوجه إلى شرفة غرفته، يتبعه فارس، أخذ نفسًا عميقًا، ثم قال: من أول نظرة، تغيرت نبضات قلبي، أشعر إنها تنتمي إلى، أحببتها... نعم أحببتها.

لكن اتهامها ليّ إني أتقرب إليها؛ لأخفي جريمة ما، يزيد من صعوبة الوصال بيننا، حُكِم على قلبي بالموت وهو حي ينبض.

ربت فارس علي كتفه: اهدأ يا صديقي، فعندي دليل براءتك، دع الأمر ليّ.

في اليوم التالي، ذهب فارس إلى الجامعة، انتظر خروج جهاد من المحاضرة، طلب منها أن يتحدثا قليلًا، لم ترفض جهاد لما علمت أن

الأمر يخص صديقتها جميلة، بدأ فارس الحديث: هناك سوء تفاهم لدي أسرة جميلة، أردت أن أوضحه لكِ، عسى أن تنصلح الأحوال.

أخرج حاسوبه الخاص، الذي يعرض عليه ما تم تصويره بكاميرا كريم، فإذا بها تري المشهد كاملا، من كروفر، وقنابل الغاز، وسقوط الطلاب والطالبات، وصولا لحادث جميلة، وإنقاد كريم لها من يد ذلك البلطجي، وضربه إياه، حتى حملها إلى حيث مبني كلية الطب...

ما رأته جهاد أحال نظرها عما قالته جميلة، قررت فعل شيء يزيح تلك الغمامة من على عين جميلة.....

كان لوقع كلمات جهاد دبيب بقلب جميلة، التي لانت وصدقت ذلك الشعور الذي كان يلح عليها ببراءة المتهم المظلوم كريم...

هاتفته واعتذرت بخجل، طلب مقابلتها وافقت.

شغف اللقاء الأول ملأ القلبين، وكأن الأرض كلها أُغرقت شوقًا ولهفةً، والتقيا لكن انقبض قلب جميلة لما رأت ذلك الخاتم البراق الذي يحيط إصبع كريم...

وكأنما قرأ ما جال بخلدها؛ أناخ رأسه وبدأ هو بالحديث:

نعم يا جميلة هذا الخاتم بالفعل خاتم زواجي؛ وأخرج لها صورة لابنته سارة.

وأردف: وهذه ابنتي.

انكسر قارب الأمل الذي كان يحمل جميلة...

استكمل كريم حديثه: سأخبرك بكل شيء، لكن يجب أن تثقي إني لن أتلاعب بمشاعرك، ولن أجبرك بخوض أي تجربة لا تريدينها.

وبدأ يسرد قصته...

منذ ثلاث سنوات تزوجت ابنة عمي، بِناءً على وصية أبي، رغم صغر سني إلا إنني نزلت لرغبته طوعًا، فقد كانت يتيمة الأب والأم، عاشت معي تراعي أمي، وتقوم بكل شؤون حياتي، كانت نعم الزوج، حتى أصيبت بمرض عجز الأطباء تشخيصه، وكانت النتيجة أن أكمل حياتي برفقة سارة ابنتي، انظري يا جميلة أليست تشبهك كثيرًا؟

ابتسمت جميلة، دهش كريم من تلك الابتسامة، التي زرعت داخله الأمان، وكأنما ولد الآن كريم الذي عاش وحيدًا سنواتٍ طوال، وجد رفيقًا لروحه وأنيسًا لقلبه. وجميلة دقات قلبها الأولي أصبحت ملك كريم الآن، ملئا الأيام عشقًا، وكأنما أغرقا الأرض بندي حبهما البريء....

خرجت جهاد من مركز التزيين، تستند إلى يد جميلة، متوترة ومبهرة الجمال، اليوم هي عروس لحب عمرها الوحيد، ابن خالتها الذي

انتظرت طويلًا أن يعترف لها هو أيضا بحبه، لكن فاجأها بطلب الزواج.

ذلك الزفاف حرك مشاعر كريم، جعله يرغب أن تدوم علاقته بجميلة إلى ما لا نهاية، اتخذ قراره أن يسألها رأيها؛ فإن وافقت فسيرتاح قلبه، وستسكن روحه بقلب حبيبته...

وافقت جميلة بالزواج منه، وبالفعل حدد كريم موعدًا لمقابلة والدها، ونام ليلته يرسم الأمل بريشة بيضاء بسقف طموحه، يردد اسم جميلة، وكل ما يرجوه هو أن تسير السفينة وفق اتجاه الرياح...

وصل العروسان لعشهما، كانت جهاد متوترة، لكن تحملها السعادة كفراشة في حديقة مزهرة، تعِد أحمد أن تسقيه من رحيق السعادة ما لذ وطاب، غاب عنها إنه لم يقل لها يومًا إنه يعشقها مثلما تفعل هي...

في بيت جميلة سادت بعض الغيوم المكان، وأنعكس اتجاه الريح؛ فأغرق السفن فكان لأبيها ردًا معاكسًا لما خططا له جميلة وكريم.

جاء رد أبيها لكريم قاطعًا وغير قابل للنقاش.

وعندما علم بأن جميلة تريد ذلك زاد أبوها تصميمًا لرأيه؛ فأخبر كريم

بما لا يليق، إنه إذا اقترب أكثر من جميلة فسيكون الأمر أكثر صعوبةً عليه، وأهان تلك الزيجة التي مضت من حياته، أصارت وصمة سوداء بحياته؟

ما ذنب قلبه المسكين الذي أحب وعشق فتاةً بكر، أسيكون إنسان من الدرجة الثانية؛ لأنه فقط أرمل ويربي طفلة يتيمة الأم؟!

وانتهت آمالهما العريضة، إلى تلك اللحظة التي كتب فيها والد جميلة سطر النهاية، ضعف جميلة واستكانتها مكنَّ أبوها من التحكم فيها، حتى وصل الأمر إلى زواجها بحسن...

عادت جميلة من طريق الذكري، يئن قلبها، تصرخ روحها، وقفت أمام زجاج شرفتها، تتأمل ميلاد صباح جديد، لكن بعقل شارد وعيون أنهكها البكاء.

سألت بين نفسها هل تستمر في الاستسلام، وترك حياتها طوع أمر الآخرين، يسوقونها كيفما شاءوا.

هل ستتمكن من المضي في حياتها مع حسن، دون أن تشعر ولو للحظة اشتياق وحنين لكريم؟ وإذا حدث، هل ستكون زوجةً وفيةً صالحةً، أم إنها ستخون؟

حزمت أمرها، أرسلت رسالة هاتفية لجهاد أخبرتها بكل ما نوت فعله، وأحضرت ورقة وكتبت...

أبي... كنت دومًا ابنتك المسالمة المستسلمة، لم أعارضك يومًا في أي قرار اتخذته، أبي كم يعز على نفسي أن تكون أول من دهس قلبي، ولم يري نزف مشاعري، لقد أثرت الصمت فيما مضي، لكنك لم ترَ ألمي وحزني، غلبك تسلطك، فكسرت قلبي مرة؛ لكنني لم أعد احتمل، فلو إنني أملك نبضات قلبي، أو إنني أملك من أمر نفسي شيئًا، لمضيت فيما أجبرت عليه دون مقاومة، لكن لا حول لي ولا قوة، فقلبي ليس ملكًا لي، ولا نفسي أيضًا، وهذا ما سأخضع له من الآن، فأنا قررت أن أحيا كما يرغب قلبي، مع ذلك الذي أحببته، غير عابئةً بما سيأتي، أو بما قد مضي..."

وخرجت وهم نيام، قاصدة بيت كريم.

انتفض أحمد من فراشه بعدما جاءته مكالمة تحمل له خبرًا سيئًا، لاحظ تغير ملامح جهاد، ونظراتها الطويلة إليه، وكأنها تحمل له عتابًا أو ألمًا على غير المعتاد له، لكنه سيتجاهل الآن كل هذا، فما هو فيه الآن لا يحتمل أن يفكر فيها، أو فيما تعتقد أو تعرف. نظر لها بعين

مترقرقه الدمع تعبر عن كثير مما بداخله.
ليس الآن يا جهاد، إن ابنتي في خطر حقيقي سامحيني، لعلني ظلمتك، لكن لربما يومًا تعلمين بسري، ومهما كانت العاقبة فأرجو أن تغفري لي. ود لو أن لسانه وشجاعته طاوعاه ليخبرها كل هذا.
لكنه اكتفى بأن اقترب منها يقبل يدها لكنها أزاحتها بعيدًا عنها.
عاد الاتصال، حاولت عين جهاد أن تري هوية المتصل لكن أحمد أخفى هاتفه بين كنف يده وتركها وخرج...

أمسكت أم جميلة الخطاب مرتجفةً، ويدها تبكي.
بينما أدرك أبوها مكانها، ولكن سبب فعلة ابنته غائب عنه، فلماذا الأن والوقت قد أزف، وأنت يا جميلة على وشك أن تذهبي بيت زوجك؟!
تضاربت الأفكار في رأسه، وعندما تحدث إلى جهاد وجد إجابات تلك الأسئلة، فقد تغلبت عليها عاطفتها بسبب موت أم كريم، وعصت أمره. فما كان منه إلا أنه بلغ زوجها فهو الآن يقتسمه المسئولية.
تدفقت الدماء في رأس حسن، الذي بدأ يشعر بكارثة وشيكة الحدوث، فزوجته في بيت رجل أخر، علم أنه كان يحبها ويرغب فيها، لأي سبب

لا يهم، ولكنها هناك والآن!، قبل دخول بيته.
لم يستغرق حسن وقتا ليفكر فيما سيقوم به.
في كل منا شخص وحشي يخرج وقت الحاجة...

أسرع أحمد يسابق الزمن، يرتجف قلبه داخل جوفه، فابنته في خطر مسافة ليست قصيرة قطعها بين بيته، وتلك القرية النائية التي تعيش بها زوجته الأخرى هند...
شغفته حبًا، كانت كل النساء بعينه، لم يرغيرها، زميلة دراسته، التي منذ أن رآها دق قلبه؛ وهوي ساقطًا في غرامها، سنوات مرت يحبها هو ويغدق عليها بكل الولع والشغف الذي اشتعل داخله، عمي قلبه أن يري أو يشعر بجهاد، كانت فقط ابنة خالته لا أكثر من ذلك ولا أقل..
لكم أراد أن يمضي بقية حياته زوجًا لهند، لكن أمه وقفت له بالمرصاد ضد هذا الزواج، حاول إقناعها بشتى الطرق، لكنها كانت تعلم أن هذه الزيجة لن تأتي له إلا بالهم والمشاكل، التي قد تودي بحياته، لكن من منا يملك زمام قلبه؟ وأي حياة تلك بعد فراقنا عمن نحب؟!
حتى لما حبسوها عنه، لم يخش شيئًا فروحه معها.

وفي أول فرصة لقاء لهما، التقت أيدهما وكأنهما يعدان بألا يفترقا، كتبت أجسادهما وثيقة البقاء الأبدي، لم تكن قبلاتهما فقط حارة، لقد كان الاشتياق أكثر حرارةً، ومع كل نفس يخرج من أحدهما، يسكن بصدر الأخر، وفي اللحظة التي استفاقا من غمرة السعادة، فإذا بهما يصطدمان بالواقع، فمثل زواجهما في مجتمعنا جريمة، فكيف يعشق المسلم نصرانية؟!

قلوبهما وقفت صامدةً تدافع عن آخر قطرة أمل لعل وعسى أن يكتب لهما زواجًا مخلدًا.

لكن هند اختفت، شهر... شهرين، لا يعرف لها طريقًا، علم من أهلها إنها هربت، وهددوه إن لم يبتعد عنها ستكون حياته ثمنًا، لم يعبأ بتهديدهم هذا، إنما ما أرعبه حقًا هو قدرتهم على قتلها، بحث عنها كثيرًا، وفي ذروة خوفه وشوقه إليها، أرسلت له رسالة..

لا تبك يا حبيب القلب والروح، اشتقت لك وطفلك الذي يسكن أحشائي مع كل نبضة له يسألني عنك، نعم يا أحمد فأنا حامل لذا هربت من بيت أهلي، ليس من حقهم إجهاضي وحرماني من أن أكون أمًا لقطعة منك، لا تقلق يا حبيبي لن أربيه على ديانتي القديمة، فقد أسلمت من أجله، بعت من مصوغاتي لكي أنفق، ذهبت إلى الطبيب

أمس، وغيرت اسمي، طفلنا كبر شهرًا، أحاول أن أكون في أمانٍ، لكن الخوف يسكن قلبي، أخشى كل من حولي.

أعلم أن هناك من يجبرونك على الزواج من ابنة خالتك، تزوجها يا أحمد، عش سعيدًا كوّن أسرة وأسس بيتًا، لعل أهلك يغفلون عن قصتنا، أمض في حياتك وسأنتظرك

تزوجها حتى يضل أهل هند.

وبعد فترة من زواجه، هاتفته هند أخبرته مكانها، لم يكن لقاءً عاديًا، ساد الصمت رغم فيض العيون بالكثير، لهفتها واشتياقها له كانت اللغة الوحيدة في تلك اللحظة، أبت أجسادهما الابتعاد، فظلا ضامين بعضهما طوال الليل، وبورقة زينت بتوقيعهما.... تزوجا...

أمن لها مسكنًا في قرية تبعد عن بيته مسافة قريبة، كان يخرج من عمله إليها، يمكث ساعات قليلة ثم يعود إلى جهاد، حتى لما شعرت هند بآلام الوضع أحضر لها صديقًا له ليولدها، أنجبت بنتا أسمتها "هاجر"...

تلك المسكنة التي كتب لها أن تحيا أول سنوات عمرها في سجن أمها...

وصلت سيارته إلى بيته الثاني، تجلس هند جوار ابنتها قالت وهي تبكي: حرارتها مرتفعة منذ أمس، فعلت كل ما بوسعي لكنها لا تنخفض..

ربت على كتفها، وحمل ابنته، همت بالخروج معه لكنه منعها، نظر لها مشفقًا على حالها.

. لا يا هند، رجاءً ابق هنا سآخذها إلى المشفى وحدي.

قالها أحمد ووجهه يتصبب عرقًا خوفًا على ابنته.

في بيت كريم وأجواء الحزن تغيم البيت، عزف كريم عن تلقي العزاء، انعزل بغرفته يحمل حزنه وحده، وقف بدلًا منه في صوان العزاء فارس صديق عمره، الذي ما أن رأي جميلة اطمأن أن صديقه قد يخرج من عزلته ويَهُونّ حزنه، دخلت الغرفة واقتربت منه تبكي لبكائه، رفع رأسه ببطيء ووهن، كذّب عينه فأناخ رأسه مرة أخري، وتنهنه بألم وحزن، ركضت سارة إليه ما أن فتح الباب، سألته عن جدتها أين هي؟! المسكينة كانت تنام جوارها، لكن قُبضت روحها ولم ولن تستيقظ أبدًا، جلست جميلة جوارهما، مدت يدها لمسته، عاود النظر إليها كأنما يتأكد إنها هنا حقيقيةً وجواره، نطق اسمها في تلجلج: جميلة، حقًا أنت هنا؟

أومأت برأسها، نعم أنا.

تعجب فسأل: كيف، وماذا عن حفل زفافك؟

نظرت له بعمق: لن أكون لغيرك يا كريم، لا أحتمل فكرة أن رجلًا آخر بحياتي؛ لقد هربت...

هبَّ كريم واقفًا، وقال منفعلًا: خطأ يا جميلة، مؤكد أن والدك سينكسر، ويلحقه الخزي، فموقفك هذا سيزيد الأمور تعقيدًا.

انفعلت جميلة: وهل كوني زوجة لغيرك هذا ليس تعقيدًا؟

هل رؤيتك ليّ في كنف رجل آخر ليس تعقيدًا؟!

أنت استسلمت وتخليت عني، لكن لن استمر في الخضوع أكثر من ذلك، يكفي ما مضي بعيدًا عنك..

إن كنت غير راغبًا فيّ، فالأمر سينتهي الآن؛ وأتزوج حسن وأطوي صفحةَ حبي لك إلى الأبد.

أمسك كريم زراعها في شدة وقال:

- هل كنت سأجبرك أن تربي ابنتي وأنتِ في بداية حياتك؟!

هل كنت سأعارض أهلك ليقطعوا علاقتهم بك، وتعيشين تعيسة معي، بين لوعة اشتياقك لهم وغضبهم عليك؟! منعتني رجولتي وليس ضعفي، منعني حبي لك أفهمت؟

تفاجأ كريم بمن يقف أمامه شاخصةً عيناه مندهشًا، تظهر على وجهه علامات الغيرة ومفاتيح الانتقام.

أسرعت جميلة قائلة: حسن، عليك أن تتفهم الأمر.

اتفهم؟ ماذا تريدينني أن أفهم؟

تدخل كريم: من أنت؟!!

فقال حسن: أنا زوجها.

فتركهما كريم وخرج.

همت جميلة أن تنطق، لكنه انهال عليها بالصفع والضرب، في البداية كان بكاؤها مكتومًا، إلا إنه تضاعف غضبه لما سمعها تستغيث بكريم، فلم يعي حسن ما يفعل إلا وجميلة ساقطة على الأرض مغشيًا عليها تنزف...

في المستشفى رفع الطبيب سماعته عن صدر هاجر، وقال لأحمد:

. إنها الحمى القلاعية، وعليها أن تبقى بالمشفى حتى تستقر حالتها.

نزلت كلمات الطبيب على قلب أحمد كدبيب ثلجٍ أسقطته السماء في ليلة شتاء قارس، لتتفاقم حيرته الآن ثلاث بيوت وليس بيتين، ماذا يفعل، جهاد ماذا تظن الآن؟!! وهند ووحدتها، وطفلته المسكينة تئن أهات المرض...

في مستشفى أخر، ترقد جميلة بعد تضميد الجروح، طلبت من الطبيب إثبات حالة التعدي وتحرير محضر ضد حسن.

وبالفعل تم استدعاء قسم الشرطة لحسن للإدلاء بأقواله.

فما كان من حسن إلا الاعتراف، وطلب أن يتم الصلح. لكن صدمته جاءت في القرار الذي يتبع ذلك.

حيث كان شرط جميلة للصلح والتنازل عن المحضر، هو الطلاق بعد برهة من الصمت، طلب حسن أن يختلي بزوجته لبضع دقائق.

حسن: هل تطلبين ذلك لأنني ضربتك أم لسبب آخر؟

أشاحت جميلة بوجهها عنه، ثم تنهدت وشرعت قائلةً: هل تؤمن يا حسن بما يسمى الحب، كل ما في الأمر أنني لا أستطيع أن أُسكنك قلبي، وهو مسكون حقًا، لا أريد منك أن تكرهني أو تكره كريم، وأقسم لك أنه لا خيار لنا في ذلك.

. لا تحتاجين إلى كل تلك المبررات، أنت طالق

ثم ذهب ووقع على محضر الصلح وذهب ليلغي فرحه الذي أعده.

ليلة قاسية تمر علي أحمد في المشفى، طويلة لا تنتهي يملأها الخوف من كل شيء، وكثرة الاحتمالات السيئة تزيد همومه، فلا يوجد احتمال واحد يحمل بعض الضوء، الذي يغير تلك الظلمة التي تحيطه.

في السابعة صباحًا، أتاه اتصالا من هند التي مر ليلها في قلق لا يقل عن زوجها، ليس فقط لمرض طفلتهما هاجر، فمن يأمن العواقب؟ فالمصائب دائمًا تأتي تباعًا.

لن أستطع يا أحمد أريد أن أراها الآن، قالتها هند دامعةً

لم يصمت أحمد كثيرًا فدمعة هند تكسر كل قوانين حياته

- كيف لك أن تخرجي يا هند وأنت تعلمي كل شيء!

- ماذا إذا أخفيت وجهي بنقاب ولن يراني أحد، أعدك أرجوك يا أحمد

- بلا رجاء يا هند اكتبي عنوان المشفى، استقلي سيارة أجرة توصلك إلى هنا.

في المشفى، بجوار سرير هاجر، نتاج صراعهم المرير مع الحياة، يمر الطبيب، ويداعب صغيرتهما ببعض الكلمات الرقيقة، ثم يتحدث إلى إحدى الممرضات بالمداومة على العقار في موعده، ويتجه إلى أحمد قائلا:

ـ نريد شهادة ميلاد الطفلة لإثبات الحالة، وبطاقتك لاستكمال البيانات.

تفاجأ أحمد من الطلب وقام فزعًا وبدت عليه علامات الارتباك، التي حاول إخفائها. ناظر إلى هند التي كانت في وضع أسوأ منه، فليس هناك

شهادة ميلاد لها، كما أنه لا قسيمة زواج لهما!

لاحظ الطبيب ذلك الارتباك الذي أثار ريبته، وشعر أنهما ربما يخفيان جريمةً ما.

وبعد نصف ساعة انتبها على طرقات باب الغرفة بالمشفى، فتح أحمد الباب ليجد ضابطًا من قسم الشرطة الذي بدأ بسؤاله:

. من فضلك بياناتك، وبيانات الزوجة، وبيانات الطفلة.

هكذا تم إحكام المأزق على أحمد، الذي لم يتمن أبدا أن يقع فيه.

ليس معي إثبات للبنت وهذه بطاقتي وبطاقة الزوجة، وسنشرح لك الأمر.

الضابط: ليس هنا بل في القسم.

في قسم الشرطة

بعد مراجعة البطاقات، والملفات، تبين بأن هند مقيد لها محضر اختفاء من سنتين.

طلب الضابط منهما ردًا على ذلك.

فبادرت هند بالرد:

- نعم أنا من قررت أن أترك البيت، وأتزوج بأحمد، وهذه ابنتنا ولو علموا مكاني سيقتلونني لأنني أسلمت وتزوجت منه.

الضابط: أسف، لابد من إغلاق المحضر القديم.

هنا أدركت هند أن ناقوس الخطر اقترب، بل دق وربما يبشر بشيء ليس هينًا

ارتكزت على أحمد وخرجا من قسم الشرطة عائدين إلى المشفى حيث طفلتهما المريضة، إلا أن هند استوقفته قائلةً:

لن آتي معك إلى المشفى الآن، هناك أمر لابد أن ينتهي.

مدت جميلة يدها تمسك يد كريم، هي تبتسم في وهن وضعف، وسألته: أين سارة؟

ابتسم لها وقال: لا تقلقي تركتها مع أسرة فارس.

حاولت جميلة الجلوس؛ ألمتها جروحها، ساعدها كريم، فقالت له:

- كم مدة العدة للمعقود عليها يا تري؟

تعجب كريم السؤال لكنه أجاب:

- ليس عليها من عدة لكن لما السؤال؟!

- ألم يأن الأوان أن تتزوجني؟ أنت مدين لي بوعد قديم.

احتار كريم فهو لا يرغب في أن يتزوجها دون موافقة والدها.

أتت جهاد، رغم ما بها من حزن، لكنها لن تترك صديقتها في تلك المحنة

opeikan.com

وحدها، ومن بعدها أسرة جميلة، وما أن رأي والد جميلة وجه كريم حتى توجه له قائلًا:

- ألم أنهاك عن الاقتراب من ابنتي؟ أرأيت فوجودك بحياتها نذير شؤم عليها.

- أبي.

التفت إلى صوت جميلة الواهن الضعيف.

. سامحني لم أتخيل يومًا أن أُسبب لك أي عار أو خذي، لكن يا أبي أنا أحبه وأنت لن تقف في طريق سعادتي، التي لطالما كانت شغلك الشاغل.

هل ستربين له ابنته؟ قالها الوالد في حدة.

خرج كريم من الغرفة فهذا الحديث أشعره بالحرج.

أجابت جهاد بدلا من جميلة: وما ذنب الطفلة يا عمي، هي يتيمة الأم، كما أن جدتها توفيت، مما يعني أنها وحيدة تماما وتحتاج إلى من يرعاها.

وقف الأب يفكر في الأمر، وينظر لوجه ابنته الممتلئ بالكدمات، ورأسها المعصوب بالضماد.

تساءل إن تزوجت ممن عذبها وكدر صفو حياتها، فهل سيسعد حينها؟

وماذا إذا كانت ابنته يومًا في مكان ابنة كريم؟

أخذ نفسًا عميقا وقال: حسنا يا جميلة، أوافق على زواجكما.

تهللت أسارير كل من بالغرفة، وخرجت جهاد تنادي علي كريم وتبارك له موافقة الوالد.

خر كريم ساجدًا شاكرًا لله.

رن هاتف جهاد، رقم غريب لا تعرفه.

ردت في قلق، فجاءها صوت نسائي غير مألوف.

- مدام

- نعم أنا جهاد من معي؟

- لا داعي لذكر اسمي الآن، هل يمكنني مقابلتك لأمر ضروري.

- بخصوص ماذا؟

- بخصوص زوجك.

توترت لكن شيئًا ما خفي دفعها على قبول مقابلتها، لكنها هي من حددت الساعة والمكان.

جلست تنتظر المجهولة في كافيتريا، فإذا بسيدة منتقبة تجلس أمامها وسألتها:

. مدام جهاد؟

قالت جهاد في خوف: نعم أنا هي.

فقالت السيدة تعرفها بنفسها: أنا هند.

صدمت جهاد من الاسم، فهي لن تنساه أبدًا، فقد نطق به لسان زوجها في وضع أصاب كرامتها في مقتل.

كانت على وشك الرحيل، لكن رغبتها في معرفة عمق علاقتهما هو ما دفعها إلى التماسك والصبر حتى ينتهي هذا اللقاء.

عادت هند لحديثها:

أخرجت تلك الورقة التي كتبها أحمد بخط يده، وورقة أخرى لم تفتحها بعد.

قصت عليها كل شيء حتى تلك اللحظة التي تمر، وهي تجلس معها بينما يجلس أحمد جوار هاجر بالمشفى، لكن بقي أن تعرف سبب هروبها.

أخرجت بطاقتها الشخصية، لتصطدم جهاد بالاسم

"هند جورج عبد الملاك"

وبخانة الديانة مسيحية!

نظرت لها جهاد في ذهول، ألجمت الصدمة لسانها، جف حلقها وتحجرت دموعها.

قالت هند "اليوم أنا هنا أخبرك بكل الحقيقة، فالوضع فاق تحملي، قد لا تشعرين بي وبحال امرأة سجنت نفسها بإرادتها من أجل من تحب، لقد أحببت أحمد لدرجة أنى تخليت عن أهلي وحياتي وديني، أردته هو فقط، لن أخبرك عن تلك الأيام التي قضيتها في خوف وحدي، لن أخبرك عن احتياجي له وخوفي عليه، كل ما أريده منك الآن يخص ابنتنا هاجر.

بكت هند بكاءً مريرًا، وأردفت لقد كنت أعلم أن تلك اللحظة آتيه، مهما حاولت الهرب من أهلي سيعثرون عليَ، أعلم أن تعصبهم الديني سيعميهم عن رؤية هاجر، ومهما فعلت لن يغفروا، كما أن أحمد تحمل الكثير ولا أدرى هل سيتحمل المزيد أم تمزقه بيننا سيعييه ويهلكه

أعلم كل ما يدور برأسك الآن، وكل تساؤلاتك المحتملة، لكن علاقتي بأحمد كان يمكن لها أن تكون طبيعية، لكن قُدر لي وله ديانتين مختلفتين، فتلك الأمور ليست باختيارنا، لكني و بكامل إرادتي اخترت طريق أحمد، ولعل الله جعل هاجر سببًا حتي أُسلِم، الوضع الآن يا جهاد أصعب من مجرد خلاف زوجتين علي رجل، فمؤكد الآن أن الشرطة أبلغت أهلي أنهم قد وجدوني، والمواجهة حتمية لا مفر، ولا

أضمن ما سيحدث؛ لذا تركت لك هذه الورقة، أرجو أن تعاهديني أمام الله أن تنفذي ما بها، فأنا بلا إخوة أو أصدقاء، ولن اثق في أحدٍ لأستودع له مثل تلك الأمانة، إلا قلب مثل قلبك النابض باسم نفس الرجل الذي لطالما عشقته.

مدت هند يدها بالورقة الثانية لجهاد، وطلبت منها قراءتها، التي لم تكد تنتهي من سطورها حتى أغرقت دموعها وجهها وبصوت مبحوح قالت جهاد: كيف تطلبين مني هذا، ومن ضمن لك أنى سأوافق وأعاهدك؟

تماسكت هند قليلا وقالت: أنت أقرب إنسان لأحمد، ودومًا كان يحدثني عنكِ بكل الخير، كما إنكِ ابنة خالته، فإن لم تتعاملي معه كحبيبة، ستعاملينه بصلة الرحم.

قالت جهاد بغضب: ألم تحسبا حسابًا لمشاعري؟ ألهذه الدرجة أحمد لا يراني؟

قالت هند: أقسم لك أن أحمد لا يعلم شيئًا عن لقائنا هذا، ولا عن تلك الورقة، رجاءً يا جهاد فكري قليلا، لا تحكمي قسوتك وغيرتك، حكمي عاطفتك وإنسانيتك.

لم تنطق جهاد ببنت شفة، وأنهت اللقاء ورحلت تمسك الورقة بيدها،

أصبح طريقها ضبابيًا تملأه الغيوم، لم تدر أهي دموعها أم أن هذا هو اللون الحقيقي للحياة.

لا تدري لم أخذتها قدماها إلى المشفى، وما الذي دفعها أن تقبل بالأمر، أهو حبها لأحمد أم لضعف ما في نفسها؟!! دلفت غرفة هاجر، وقف أحمد تبدو عليه علامات الحيرة والأسف، وألف سؤال بعينيه ينتظر ولو جوابًا واحدًا!!!

تتجاهل جهاد تلك التعبيرات، وتتجه إلى ذلك السرير، الذي تفترشه هاجر تلك الطفلة المسكينة، التي لم تخط بيدها أي قرار في حياتها بعد، تلك الخراطيم والمحاليل المعلقة، وصوت الأجهزة مشهد أقسى من أن تتحمله جهاد.

بألم ودموع ذرفتها عيناها اقتربت، وبلا إرادة مسحت على رأسها، انفجرت أمومتها الفطرية التي غلبتها، أزالت بعض العبرات من عينها، ودققت النظر في وجه الصغيرة، رأت وجهًا قريب في ملامحه من ابنها، ولم لا وهي أخته؟

قطع شرودها اقتراب يد أحمد منها، ولأول مرة تنتفض إثر لمسته...

عصرت عينيها من الألم، فقلبها ينزف ويصرخ مرارة حقيقية وغصة لا مثيل لها.

نطق أحمد أخيرًا بصوت حزين: جهاد ما الذي أتي بك إلى هنا؟

مدت له يدها بتلك الأوراق التي أعطتها لها هند، قسيمة زواجه وجواب وصاية بخط يد هند.

خفض أحمد رأسه وقال: سامحيني يا جهاد.

بكت جهاد، ووقفت حائرة هل تسامحه، ويكفيه ما هو فيه، أم تتركه بسبب زواجه.

وبصعوبة خرجت الحروف من بين شفتيها: لا تقلق يا أحمد في النهاية هي أخت ابني وابنة لزوجي وابن خالتي.

سالت دموعهما لتكون حائلًا دون الكلام، وبقي فقط حديثًا طويلًا بالعيون، يعبر عن كل ما تحمله القلوب من ألم وكل ما يلوج في صدورهم.

لازال باب الغرفة مفتوحًا، لتدخل هند متسترة خوفًا من أن يراها أحد.

اطمأنت لوجود جهاد، فوجودها يعني موافقتها على تبني هاجر، أشبعت عينيها بنظرة طويلة لطفلتها، وضمة طويلة لأحمد وطلبت منه ألا يتبعها، ثم غادرت تقصد تيهًا وضياعًا لا تعلم نهايته، قررت استعجال مصيرها فقد طفح كيل صبرها، ولم تنتظر، فذهبت لبيت

أهلها، وليكن ما يكون، طالما أن من تحبهم وتخشي فقدانهم في مأمن الآن، وبعيد عنها فلن يمسهما سوءًا...

ظن أحمد أن هند عادت إلى بيتهما في القرية، لكنه لم يجدها به، اتصل بها كثيرًا لكن الهاتف أُغلق.

أسبوع مر على اختلاف أحوال الجميع تماثلت كل من هاجر وجميلة للشفاء...

اختفاء هند أصاب احمد باكتئاب شديد.

لكن جهاد كانت تواسيه وتسانده، كما أنها تنفذ وصية هند حتى وإن كانت لازالت على قيد الحياة... تقرر إقامة حفل زواج كريم وجميلة بعد شهر.

دوام الحال من المحال، فبعد الغيوم مؤكد أن تأتينا أشعة الشمس لتشعرنا بالدفء والأمل، وبعد الليل الطويل يشرق نهارًا يخبرنا أننا نملك يومًا أخر بعمرنا لنعيشه، قليل من الراحة، كثير من السعادة، كان حال جميلة وسعادتها لا توصف، فأخيرًا ستستكين روحها بقرب من تحب، كانت تنظم كل تفصيله في بيتها، الذي سيجمعها بكريم، جفاها النوم من السعادة، لم تفارق كريم طوال الشهر.

وعادت الزينة والأضواء من جديد؛ لتزين واجهة بيت جميلة، لكن هذه

المرة ستتزين كما لم تتزين عروس من قبل.

قررت أن تسعده بكل ما أفتيت من حيل، لن تتواني أبدًا في إراحته.

وتم الزفاف على أجمل صورة، حرصت على التقاط الكثير من الصور خاصة مع جهاد وطفليها، هاجر وأدهم، وسارة فستان أبيض رقيق مثلها:

في قبو مظلم، كانت تدعو الله أن ينجيها، و يخلصها مما تلاقيه، كانت تصلي بعينيها، و ترتل القليل مما حفظته من القرآن، كانت تعلم عاقبة ما فعلته بإرادتها، كانت تعلم أن ذهابها إلى أهلها هو التهلكة بعينها، كانت ترجو بقلوبهم رحمة أو شفقة، أو حتي قسوة بلا أذي، لكنهم لم ينظروا لها إلا بنظرة الخطيئة و الدنس، أحرقوا جسدها، جلدوها، لا يلقون لها إلا بالقليل من الطعام، كانت تأكلها البرودة، تركوها في ذلك القبو بلا شيء علي جسدها ليدفئها، كانت تتذكر أيامها مع أحمد فتبتسم، تتذكر وجه هاجر وهي مريضة فتبكي، لم تندم ولو للحظة واحدة علي حبها له.

فُتح الباب لكنها لم تر أحدًا، بسبب تلك العصابة التي غلفت عينيها، لكنها ارتجفت، ففتح الباب لم يكن سوي جرعة تعذيب أخري، جذبها سجانها كانت تسير بخطوات مختلجه، تسحب نفسها من يده لكنه

أقوى وأعنف، وبدأت جلسة تعذيب بأداة جديدة، الكهرباء...

صرخت بأعلى صوتها، تستغيث، لكن لا مغيث لها من يده إلا الله، الذي منَّ عليها بغيبوبة تريحها قليلا من التعذيب، بعد ساعة سمعت همهمات قريبة منها، علمت أنهم قرروا تخليصها، خافوا أن تموت بين أيديهم ففضلوا إلقائها بالشارع، وكأنها قمامة وليست بشرًا...

استفاقت حاولت النهوض، ساعدها أحد المارة الرحيمين، أعادها إلى بيتها، واتصل بأحمد. الذي كان معها بسرعة الريح، لم يتخيل أن يراها هكذا، مشوهةً وتنزف، أحضر طبيبًا، أخبره إنها نزفت كثيرًا، فلم تتحمل هند فجسدها الهزيل تعذب بالقدر الذي يفنيه.

أيام قليلة وفاضت روحها..

شهر العسل كسره خبر وفاة هند، الفاعل مجهول، لكنه لن يظل مجهولًا فسيأتي يومًا تشهد جثة هند على قاتلها، ستنطق ولن تخفي شيئًا، يومًا سيقف كل قاتل أمام قتيله، ويقتص منه. حركت قضية هند حس كريم الصحفي، كتب مقالًا قويًا...

إن ما توارثته عقولنا المتحجرة عن حرية المعتقد، ما هو إلا بقايا روث جمال الجاهلية الأولى، حيث ترك أهل الأهواء الشخصية والعصبية الدينية أصول المعتقد، وقننوا من هرمونات غيظهم وحقدهم قوانين

لم يقنها الله في كتبه، لا من عهد آدم
ولا بنهاية محمد "عليهم الصلاة والسلام" وإنما اخترعها الإنسان.
إن يتحكم بأرواح البشر، ويقتل كل من فارق دينه إلى دين آخر، وقال تعالى على لسان: محمد لكم دينكم ولي دين.
أي إنسانية تلك، التي تزهق بها روحًا، خرجت من دينك إلى دين أخر":
تمر الأيام بتعاقب ليلها ونهارها، مسرعة، سرعة الحمائم في الترحال، ليست سعيدة دائمًا فالأقدار تخبئ ما لم يكن في الحسبان.
في تمام الثالثة فجرًا فزع بيت كريم علي صوت طرقات عالية على الباب احتضنت جميلة سارة إثر فزعتها، ويتجه كريم نحو باب البيت، ليفتحه فيجد سواد يحيط رجلًا، يخلفه ثلاثة رجال متشحين بالسواد، مندفعين نحو البيت يفتشونه بكل همجية غير مراعين لحرمته، وقف اثنان منهما أمام الباب رافعي الأسلحة، وآخرين يجريان عملية التفتيش التي لم تخل من تمزيق الأشياء، وألقاء الملابس وإفراغ الخزانات.
ثم أخذ أحدهم الحاسوب الخاص بكريم، وعمد الآخر إلى عكاز قديم كان موضوعًا أعلى الدولاب فسأل كريم لمن هذا؟
أجابه كريم إنه لأبي.

فأخذه الضابط وقام بلفه بقطع من القماش الأبيض، ثم وضع غمامة على عين كريم أمام سارة وجميلة المنهمرتين في البكاء، وحملوه إلى الخارج، وعندما فتح جاره باب البيت ينظر ماذا يحدث فأشار الضابط إلى العكاز المحاط بالقماش الأبيض على أنه سلاح.

وإنه تم القبض علي كريم متلبسًا بحيازة سلاح دون ترخيص، حتى لا يعترضه أحد، ويزج به في المعتقل بقضية سياسية ملفقة.

أربعون يومًا، يبحثون عنه في كل قسم شرطة، أربعون يوما ينفطر قلب جميلة عليه، سيجن جنونها، أبعد أن التقيا يُفرَقُ بينهما بتلك القسوة؟

لم تجد إجابات لأي من أسئلتها، ولا حتى لسؤال سارة المتكرر عنه.

فكيف ستخبرها أو حتى ماذا ستخبرها؟!!

تحتضنها كل ليلة في ألم تؤكد لها أنه بخير، وقريبًا سيعود...

لم يتوان أصدقاؤه لحظةً في البحث عنه، حتى وصل إبراهيم صديقه المحامي، إلى ذلك الضابط الذي أفرج عن فارس منذ سنوات مضت، لقد أصبح أعلي رتبةً الآن لكنه نقل لجهاز أمنى سري.

وبعد أن توسل إليه كل من إبراهيم وفارس أن يساعدهم في البحث عن كريم، كتبا له بياناته وتاريخ القبض عليه.

وبعد أيام عاود الضابط الاتصال بهم؛ ليخبرهم إنه سيكون في قسم الشرطة التابع له لإجراء التحقيقات القانونية معه.

ولم يتم تحديد اتهام محدد له حتى الآن.

اصطحبت جميلة سارة في صباح ذلك اليوم، كما اصطحبت دقات قلبها التي يسمعها كل من يقترب منها ذاهبةً إلى قسم الشرطة.

وهناك رأت الهوان والذل، الذي يتسم به كل من تدلف قدماه إلى هذا المكان، بتهم سياسية.

كريم هزيل شاحب الوجه، متسخ الملابس قادمًا من غرفة أخر الرواق الأرضي، بقسم الشرطة بعد أن ناداه الأمين باسمه قائلًا: زيارة.

يفصل بين جميلة وكريم غرفة أخرها باب حديدي تتوسط فتحة صغيرة، تسمى النظارة وتلك التي لا ترى منها سوي بعض وجه السجين.

اقترب كريم عارجًا إلى ذلك الباب مستندًا على ذلك الأمين، لا يقوى على السير مما لحق به من تعذيب.

وما أن وصل بادرته جميلة بسؤال: أين كنت هذه الفترة؟

أشار كريم برأسه لا أعلم عن المكان شيئًا.

انهمرت الدموع كشلال يصحبها نحيب، وأشار بيده لجميلة أي اذهبي ولا تأتي هنا أبدًا.

وأعطاها ظهره عارجًا إلى غرفته، بملابسه البيضاء الداخلية غير المسموح له بارتداء غيرها.

حملت جميلة سارة ونحيبها لم يتوقف، تاركةً القسم وخرجت.

تحدد موعد أولي جلسات محاكمة كريم، التي كانت الفرصة الأولي لجميلة أن تري فيها كريم عن قرب، لتسأله عن حاله قبل بداية الجلسة.

.كيف حالك؟ هل تعلم أين كنت؟

قال وهو يبكي:

- أقسم لك لا أعلم عن المكان شيئا، وأما عن حالي فكما يبدو لك فأر تجارب لشتي أدوات التعذيب، الذي لا أعرف سببه إلى الآن.

بدأت الجلسة فلزم الجميع أماكنهم، لم يأخذ الدفاع وقتًا، وقررت المحكمة التأجيل...

الحال يسوء وكريم صحته لا تتحمل، تمر الأيام عليهما دهورًا، تأجيل يعقبه تأجيل، حتى جاءت الجلسة الأخيرة، لتنتهي قضية كريم بتهمة زعزعة الاستقرار القومي، التي كان سببها مقالة، وصفت بالعنصرية الدينية وأنها أشعلت الفتنة الطائفية.

ارتقي القاضي مجلسه، ودق بشاكوشه ليصمت الجميع، إلا دموع

جميلة التي كانت تستشعر الخطر اللاحق بحبيبها...

حكمت المحكمة حضوريًا بعشر سنوات للمتهم.

اتبع الحكم أهاتٍ لم يسمعها سوي الله، فلم يُنظر لهما ولن ينظر لهما بعين رحيمة سواه.

عادت جميلة تحمل ظلمًا يكفيها ما بقي من عمرها، ألم الفراق أصبح أكوامًا على كاهلها، تحمل معها هم تلك الصغيرة، التي حرمت من الأم ومن ثم الأب...

تحملت جميلة المسؤولية كلها، ظنت إن الحياة كلها لون واحد وهو الأسود، وإن كل ما قدر لها في الحياة هو الوداع.

وداع الأمل، وداع الحبيب، لكن ضربات القدر تهرنا بلطف خفي يكشف عنه عندما يشتد الكرب، فقد رزقت بجنين تحرك بأحشائها، سيربطها ما بقي من عمرها بكريم...

وبيوم مولد سارة اجتمع الأهل للاحتفال، خرج أحمد من اكتئابه نوعًا ما، لكن مؤكد أنه لن يستغرق وقتا طويلًا به، فجواره زوجة، لا يغمض لها جفن إلا وهو قرير العين.

وتتفاني من أجله، ومع كل لحظة وأزمة، تزداد له عشقًا، فهو حبيبها الأول والأخير، اعتادت هاجر أن تناديها بكلمة أمي، التي تسعد قلبها...

وجميلة تحسب الأيام في انتظار اليوم الذي يفرج فيه عن كريم، قررت أن تسمي طفلها كريم إن كان ذكرًا، وهند إن كانت بنتا، وهكذا سيبقي الاسمان خالدان في وجدانهم رغم اختلاف نوع وداعهم وفراقهم.

تمت

obeikan.com